ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

التحولات السياسية والدينية للإمبراطورية الرومانية في عهد الامبراطور قسطنطين الأول(306 .337م)

الدكتورة نورة مواس أستاذة محاضرة "أ"
أبو القاسم سعد الله جامعة الجزائر.2 .الجزائر
nora.mouas@uniiv-alger2.dz

الملخص بالعربية:

عرفت الإمبراطورية الرومانية في عهد الامبراطور قسطنطين الأول(306 -337 م)، مرحلة انتقالية في تاريخها، بفعل الإصلاحات السياسية والدينية ، حيث شكل الإصلاح الديني، المتمثل في الاعتراف بالمسيحية بعد اصدار مرسوم ميلانو عام 313 م ،نقطة تحول هامة عرفتها الإمبراطورية الرومانية، إذ ساهمت السياسة الدينية في احداث نقلة نوعية على التوجه الديني، الذي ساد أغلب أراضي الإمبراطورية الرومانية، من التوجه الديني الوثني بمختلف دياناته ومذاهبه ، نحو التوجه الديني المسيحي فتغيرت طبيعة الإمبراطورية الرومانية من امبراطورية وثنية الى امبراطورية مسيحية .

وباعتبار الدافع الديني من الأسباب الأساسية، التي أدت بقسطنطين الى البحث على عاصمة جديدة للدولة الرومانية ، هنا يذهب بنا التساؤل عن السياسة الدينية التي انتهجها إزاء المسيحية ، التي لا يمكن أن تستقيم في روما القديمة الوثنية ، لذلك كان تأسيس عاصمة رومانية جديدة ، تحكمت فيه بدرجة كبيرة السياسة الدينية الممارسة من قبل قسطنطين. وانطلاقا من هذا الطرح سنحاول في هذه المداخلة إلقاء الضوء على أبرز التحولات السياسية والدينية التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية في عهد هذا الامبراطور .

الكلمات المفتاحية: الإمبراطورية الرومانية ، قسطنطين الأول ،،الوثنية، المسيحية، مرسوم ميلان، القسطنطينية .

Political and religious transformations of the Roman Empire During the reign of Emperor Constantine I (306-337 AD)

Dr. Mouas Nora
Abu Al-Qasim Saad Allah
University of Algeria 2
nora.mouas@uniiv-alger2.dz

Abstract:

During the reign of Emperor Constantine I (306-337 AD), the Roman Empire experienced a transitional stage in its history, due to political and religious reforms. Religious policy contributed to a qualitative shift in the religious orientation that prevailed in most of the lands of the Roman Empire, from the pagan religious orientation with its various religions and sects, towards the Christian religious

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

orientation, so the nature of the Roman Empire changed from a pagan empire to a Christian empire.

Considering the religious motive as one of the main reasons that led Constantine to search for a new capital for the Roman state, here we ask about the religious policy he followed towards Christianity, which could not be upright in the pagan ancient Rome, so the establishment of a new Roman capital was in control of it to a degree Great Religious Politics Practice by Constantine. Based on this proposition, we will try in this intervention to shed light on the most prominent political and religious transformations that the Roman Empire experienced during the era of this emperor.

Keywords: Roman Empire, Constantine I, Paganism, Christianity. Edict of Milan, Constantinople.

مقدمة:

عرفت الإمبراطورية الرومانية في عهد الامبراطور قسطنطين الأول(306 -337 م)، مرحلة انتقالية ، بفعل الإصلاحات السياسية والدينية،التي ساهمت في احداث نقلة نوعية على التوجه الديني، الذي ساد أغلب أراضي الإمبراطورية الرومانية، فتغيرت طبيعة الإمبراطورية الرومانية من امبراطورية وثنية الى امبراطورية مسيحية .

وعليه حظى موضوع الديانة المسيحية بأهمية بالغة عند سائر الباحثين، خاصة البحث في أوضاع الإمبراطورية الرومانية السياسية والدينية خلال عهد الامبراطور قسطنطين الأكبر(306 .337م) والتعرف على أبرز التحولات التي مست الإمبراطورية في عهده ، ومدى انتصار هذا الدين الجديد ، مع بداية القرن الرابع الميلادي.

وعلى أساس هذا التّساؤل، تتناسل في أذهاننا أسئلة منها:

. من هي هذه الشخصية البارزة التي غيرت مجرى أحداث القرن الرابع الميلادي؟

. ما هي الدواعي والأسباب التي أدت بالامبراطور قسطنطين الأول إلى إصدار المرسوم المسمّى "بمرسوم ميلانو" سنة 313 م؟

. ما هي العوامل التي دفعت قسطنطين الأول إلى التفكير في نقل العاصمة الرومانية من روما إلى القسطنطينية ؟

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

. ماهي النتائج المرتبة عن نقل العاصمة الى الشرق ؟

منهجية البحث :

اعتمدت في دراسة موضوع التحولات السياسية والدينية للامبراطورية الرومانية في عهد الامبراطور قسطنطين الأول لاستجلاء خفاياه، المنهج التحليل التاريخي وذلك بسرد الأحداث التاريخية قصد الوصول إلى فهم أهم التحولات السياسية والدينية التي عاصرت فترة حكم الامبراطور قسطنطين الأول .

الأهداف :

. التعرف على شخصية قسطنطين ؛

. التعرف على أهم الأوضاع السائدة خلال عهد الامبراطور قسطنطين ؛

. ابراز دوافع صدور مرسوم ميلان ونتائجه؛

. تبين دوافع وأسباب تغير العاصمة ونتائج ذلك؛

1.قسطنطين، مولده ونشأته

هو فلافيوس فاليريوس أوريليوس قسطنطينوس (Flavius Valerius Aurelius Constantinus)، الملقب بقسطنطين الأكبر، وهو ابن القيصر قسطنطيوس كلوروس (Constantius Chloros)من هيلينا (Helena) ،التي التقى بها في بيثينيا(Bithynia) ، لكن قسطنطين هجرها سنة 289م ، فتزوج من ثيودوا ابنة الإمبراطور ماكسيميانوس (Maximianus)(1).

امتاز قسطنطين بشخصية عبقرية ، حيث كان راجح العقل ، له عزيمة ماضية ،وفي ميدان المعركة كان قائدا بارعا محنكا، وبذلك عرف كيف يتحكم في الإمبراطورية الرومانية وهي في أحلك مراحل تاريخها(2).

تربى قسطنطين في عرش دقلديانوس امبراطور الشرق، الكائن في مدينة نيقوميديا في آسيا الصغرى، مركز الإمبراطورية الرومانية، ويرجع الفضل في ذلك لوالده الامبراطور قسطنطينوس كلوروس (Constantius Chloros)(3) ،وعليه نشأ قسطنطين نشأة ملكية ،فلم يكن لقلة تعليمه أثر في تقديره للعلم والعلماء والمعرفة ومختلف الفنون، فقد شهدعهده نهضة علمية كبيرة(4) ، أثرت إيجابا على

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الإمبراطورية الرومانية ،خاصة بعد تأييده الطائفة المسيحية، التي انتصرت على الوثنية المتجذرة، خصوصا بعدأن اعتنق المسيحية وأيد الكنيسة.

الأوضاع السياسية والدينية

1. قبل عهد الامبراطور قسطنطين:

كانت عبادة ديوقليسيانوس عاجزة عن أن تكون البديل الايديولوجي للدين المسيحي، وهو ما يبدو منذ أوائل عام 305م، والتزاما بقراراته التي كان قد أصدرها بهدف تفادي نشوب الصراع على السلطة تنازل ديوقليسيانوس على العرش لنائبه قاليريانوس، الذى وجد نفسه مرغما على ايقاف الملاحقات (4) .

لكن اضطر الامبراطور ديوقليسيانوس قبل تخليه عن السلطة الى إصدار قرار حدد فيه عفويا أو عن قصد،اليوم الثالث والعشرين من فبراير ،الذي يوافق يوم العيد الروماني ترمينياليا (Tarmanalia) لوضع القيود على تقدم المسيحية،ذلك أنه في الساعات الاولى من فجر ذلك اليوم ،قصد رئيس الحرس البريتوري وبرفقته تريبون وعدد من القادة ومأموري الدخل، الى الكنيسة الرئيسية في نيقوميديا، فقاموا بإحراق كل ما فيها ، وفي اليوم التالي نشر مرسوم الاضطهاد العام الذي نفذه وشريكه قاليريانوس حينما قرروا احراق كل من تسعه نفسه على اتباع دين آخر(5).

رغم الأثار السلبية للمراسيم السابقة وما تضمنته من تهديم وتنكيل في كل المقاطعات مع الحكم بالإعدام على كل شخص يجرؤ على عقد اجتماعات بقصد العبادة الدينية (6) ،الا أن الفلاسفة الذين انتحلوا لأنفسهم المهمة العقيمة مهمة توجيه الحماس الأعمى للاضطهاد ،درسوا دراسة يقظة طبيعة الديانة المسيحية وقدرتها، وهالهم ذلك الاضطهاد فاقترحوا اصدار أمر يحتم على الاساقفة والمشايخ أن يسلموا كل كتبهم المقدسة الى الحكام الذين امروا تحت طائلة أشد العقاب بإحراقها بطريقة علنية مهيبة ، وبمقتضي نفس المرسوم صودرت في الحال أملاك الكنائس وبيعت لمن يدفع أكثر أو ضمت لأملاك الامبراطور ، وبعد هذه الخطوات أرتأى أنه من الضروري ان يخضع لأشد العذاب اولئك المتمردون، الذين ضلوا يرفضون ديانة الطبيعة وديانة روما وديانة أباءهم (7).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

هكذا، بمجرد نشر المرسوم السابق في نيقوميديا ازداد في نفوس المسيحيين الكراهية، فردوا على ذلك بقوة حينما أشعلوا النيران مرتين في قصر نيقوميديا، وفي مخدع ديوقليسيانوس ، كما دبروا مؤامرات عدة ضد الامبراطورين العدوين اللدودين لكنيسة الله(8).

وبعد وفاة قسطنطيوس كلوروس، أصبح قسطنطين الأول أحد الأباطرة المشكلين للسلطة الرباعية في الجزء الغربي من الامبرابراطرية الرومانية الشامل لكل من غالة واسبانيا وجنوب بريطانيا بدرجة قيصر(9)، ومنذ ذلك العام تركز حكمه في تلك الاجزاء من الإمبراطورية، وقد كان الوضع الديني السائد آنذاك هو سيادة الديانات الوثنية على كل أراضي الإمبراطورية، وكانت أهم تلك الديانات الوثنية المنتشرة في حدود حكم قسطنطين هي العبادة الرسمية المتمثلة في عبادة الامبراطور(10)،بالإضافة إلى العقائد ذات الأصل الشرقي كديانات إيزيس و مثراس(11) ، بالإضافة إلى ثالوث الكابتول جوبتر، يونو منرفة(12)، كما لا نغفل عن ذكر أهم تلك الديانات الوثنية التي كان لها صدى واسع أثناء حكم الامبراطور قسطنطين وهي عبادة اله الشمس الذي كان يؤمن به قسطنطين، والذي انتشرت عبادته منذ عهد كلاوديوس القوطي (Claudius Gothicus)

2.مرسوم ميلان دوافعه ونتائجه:

لقد كان الدافع الأساسي من وراء إصدار قسطنطين مع شريكه في الحكم ليكينيوس لمرسوم ميلانو سنة 313 م هو إيمان قسطنطين بالمسيحية، حيث دفعه ذلك إلى تدعيم المسيحيين وتدعيم الكنيسة(14)، وعليه كان التحول الديني في الامبراطورية الرومانية في عهد قسطنطين من الوثنية المتداعية،نحو المسيحية المتنامية ،دافعه تدعيم قسطنطين لمركز المسيحيين والكنيسة و ادراكه أن الطائفة المسيحية هي التي ستحقق النصر (15)، فرأى أن المصلحة السياسية للامبراطورية في الحفاظ على وحدتها السياسية والدينية(16).

شهدت أوضاع المسيحيين بعد مرسوم ميلان ، تحسنا بعد القرارات التي خرجت بها اجتماعات ميلانو في مارس 313 م، حيث اعتبر المؤرخون أن الرسالة التي بعثها ليكينيوس إلى نائبه في نيقوميديا الامبراطور "ماكسيمينوس دايا " هي البيان الامبراطوري على شرعية الديانة المسيحية كأحد الشرائع المرخص إتباعها في ربوع الإمبراطورية الرومانية(17).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

وبالرغم من اختلاف رسالة ميلانو عن مرسوم جالريوس للتسامح الديني في إطلاق مفهوم حرية العقيدة، الا أن القرار الإمبراطوري الأخير هو نيل المسيحية وسائر الديانات المنتشرة في كامل التراب الروماني الشرعية القانونية لإتباعها من قبل المواطنين الرومان، وحسن سير طقوسها الدينية، وعدم هدم أماكن عبادتها(18).

كما تضمنت قرارات اجتماعات ميلانو إرجاع الحقوق الطبيعية للمسيحيين، إذ على إثرها ألغيت المراسيم والقوانين السابقة، التي جاءت لتعمل على منع إتباع الديانة المسيحية، واضطهاد أتباعها بالقتل والتعذيب والنفي(19)

هكذا، كانت إنعكاسات اجتماع ميلانو عام 313 م عميقة على الأوضاع الدينية التي أصبحت تعيشها الإمبراطورية الرومانية في كامل أرجاءها ، فالقرارات فسحت المجال أمام المسيحية ليقوى عودها في أنحاء الامبراطورية الرومانية فبعد اجتماع ميلانو أصبحت المسيحية ديانة شرعية .

3.التسامح الديني وانتصار المسيحية:

ازدادت في القرنين الثالث والرابع الحاجة الى اللاهوت، الذي قام بدور فعال في التبشير بالمسيحية، وأدى ذلك الى بروز قادة تمتعوا بكفاءة عالية من ناحية ، فكانت المسيحية في حاجة اليهم، وبفضل دور هؤلاء زاد انتشار المسيحية في شتى مقاطعات الامبراطورية (20)، فتضامن المسيحيين لم يكن له مثيل، خاصة ولأن الجماعة قد أخذت على عاتقها ، رعاية اليتامى والشيوخ، وفديَ الأسرى من قطاع الطرق (21).

إن هذا التجديد الغير منتظر بنتائجه البارزة في التاريخ الديني ، والثقافي والاجتماعي لأوروبا، قد برز في العالم أجمع ،وبرز المظهر بشكل مستقل في القرن الثالث خاصة في مصر وفلسطين وسوريا وما بين النهرين ، فالقديس" أنطوان" أسس الرهبنة المصرية في حين القديس "باكوم "حوالى (347 390 م) نظم حياة الرهبنة في صحراء طيبة في عام 320م ، ففي القرن الرابع الميلادي وصل عدد الرهبان الى حوالي 7000راهب (22) .

فبعد تخلى الأباطرة عن سياسة الاضطهاد صدرت مراسيم التسامح ، وأبرزها مرسوم ميلانو،الذي أقر فيه مبدأ التسامح ، ووضع المسيحية مع غيرها من الأديان على قدم المساواة (23) ،وبدأ بذلك عهد

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

جديد تحررت فيه المسيحية من قيود الاضطهاد، بمجرد ما أعلن الامبراطور قسطنطينوس اعتناقه المسيحية، وعمله لنصرة النصارى ،ووقف الاضطهاد الديني ضدها خاصة بعد انتصاره على خصمه ماكسميانوس، الذي و فق على العمل من أجل التخفيف من حدة التوتر في أرجاء الامبراطورية وأوساط رعيته ، لأن نص ميلانو المتعلق بالتسامح الديني كان له بعدا سياسيا ناتج عن اعتناق الامبراطور قسطنطين للدين الجديد (24) .

وعليه فإن دعوة الامبراطور قسطنطينوس لجميع الاسقفيات بالغرب الروماني عام 313م بمدينة "ميلانو" كان تجمعا يهدف الى منح الحرية الكاملة للناس في ممارستهم للدين الذى يختارونه وهو بمثابة مؤتمر سياسي هيمنت عليه ادارة الدولة (25) لدعوة الناس الى دين جديدة تحمل روح التسامح ونبذ العنف الذي كانت تدعوا اليه، ولعل هذا السبيل والمنهج السديد الذي كانت تنادي به كان دافعا قويا لانتصارها دون غيرها من الديانات الشرقية الاخرى ، فهي التي سارع اليها الشعب ، وتحمست لها الدولة في آن واحد (26)، واذا قارنا هذه الفترة والفترة السابقة التي حكم فيها ديوقليسيانوس لاحظنا ان علو شانها بارز أكثر عما كانت عليه خاصة بعد ما نودي بها علنية ، فلم يجد الناس سبيل آخر ينتشلهم من الظلم والعبودية ،التي كانوا يعانونها في الدين القديم (27) .

هكذا كان أول مرسوم دعا الى التسامح الديني ، قد أصدره الامبراطور قاليريانوس سنة 311م ، تلاه مرسوم ميلانو 313م الذي أقر حرية المعتقد مع ضرورة مراعاة قوانين الامبراطورية واحترامها (28) كما كشفت مجمل القوانين التي سنها الامبراطور قسطنطين بعد سنة 315م على طبيعة انسانية خيرة، وضمت تدابير جليلة وسامية عن احترام وتقدير النفس البشرية في عصر مليء بالصراعات والحروب التي رسخت القسوة في طباع الناس(29)،وأضيفت الى تلك القوانين قوانين تهدف الى تحقيق مطالب أساسية هامة ترمي الى مواجهة متاعب الحالة الاقتصادية والاحتفاظ بوحدة الإمبراطورية.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

4.مجمع نيقياالاول عام 325م :

انعقد مجمع نيقيا في سنة 325م ، وحضره القساوسة من جميع أطراف الإمبراطورية، وترأس الامبراطور قسطنطين نفسه المجمع الذي شهد كثيرا من الجلسات وأشرف على ادارة المناقشات،وبالرغم من المشاكل المسيحية في ذلك الوقت الا أن الخلاف بشأن العقيدة الأريوسية كان المشكلة الأساسية التي واجهها المجمع .

تذكر بعض المراجع أن المجمع شغل بأمر الوصول الى صياغة للعقيدة المسيحية يمكن أن يقبلها المسيحيون من الفرق المختلفة ،ومن المرحلة الاولى للمناقشة حاول اتباع مذهب "أريوس" اقتراح عقيدة ، ولكنها رفضت بأغلبية ساحقة ، وبعد مناقشات طويلة أمكن الوصول الى صياغة عقيدة تتضمن المبادئ المسيحية الاساسية التي يقبلها المجمع ووضعت في الفاظ لا تثير الاختلافات المذهبية، لكن بعد أن أقر المجمع هذه الصيغة اقترح الامبراطور قسطنطين إضافة لفظ واحد يصف العلاقة بين الأب والابن بأنهما من طبيعة واحدة (homoousion)،وتعتبر هذه الاضافة مجاملة كبرى من الامبراطور للاكثرية التي رفضت عقيدة أريوس، لأن قسطنطين كان يحرص في الواقع على كسب الاكثرية قبل التفكير في مناصرة مذهبهم الديني وهكذا تقبل الاكثرية الفكرة بما فيهم أتباع مذهب أريوس ولم يعترض على هذا القرار سوى اثنين من اتباع هذا الأخير المخلصين ،فأصدر المجمع في الحال قراره بحرمانهما من دخول الكنيسة كما أصدر الامبراطور أمرا بطردهم من مصر ، أما فيما يتعلق بفتنة ميتيليوس فقد أصدر الامبراطور قرارا طابعه الرحمة والسعي الى الصلح بين الطرفين وفحواه أن يحافظ ميتيليوس على لقبه الديني دون أن يمارس عمله في الكنيسة ولكن سمح لأتباعه من رجال الدين أن يعودوا الى عملهم في الكنيسة بعد قبول الاسقف اسكندر لهم.

لقد تناول مجمع نيقيا كثييرا من مشاكل المسيحية في ذلك الوقت إلاّ أنّ الخلاف بشأن العقيدة الأريوسية كان المشكلة الأساسية التي قام بمعالجتها المجمع، ولذلك عمل المجتمعون في مدينة نيقيا بأمر الوصول إلى صياغة للعقيدة المسيحية، يمكن أن يقبلها المسيحيون من المذاهب والفرق المتنوعة (30) ، وبعد انتهاء قسطنطين من أشغال مجمع نيقيا ، أنشأ كنيسة القيامة في القدس(أورشليم)، التي تعرف أيضا

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

باسم القبر المقدس، والتي غدت فيما بعد كعبة الحجاج المسيحيين من مختلف بقاع الأرض منذ عهد قسطنطين الأول إلى وقتنا هذا(31).

لقد أحدثت سياسة الامبراطور قسطنطين الأول تغرات جذرية على الأوضاع الدينية للعالم الروماني، حيث سببت في نقلة نوعية للتوجه الديني الذي ساد الامبراطورية الرومانية، المتمثل في التوجه الديني ذو الطابع الوثني ، نحو التوجه المسيحي باختلاف مذاهبه وعقائده.

5.العاصمة الجديدة:

كان لإصلاحات الامبراطور قسطنطين الاول على الصعيد السياسي أثر بالغ في تغيير المحيا السياسي للامبراطورية الرومانية عامة(32)،فلما أدرك قسطنطين أن سياسته الدينية المتمثلة في تدعيمه للكنيسة المسيحية والمسيحيين لا يمكن أن تستقيم في العاصمة القديمة(مدينة روما)، التي تعد مركز الحياة الروحية والدينية للعقائد الوثنية(33)، أيقن قسطنطين أنه من الضروري التفكير في عاصمة جديدة للامبراطورية في جزءها الشرقي، حيث العديد من المسيحيين(34) .

من هذا المنطلق غير قسطنطين العاصمة الرومانية من روما القديمة نحو روما جديدة ليعمل على تدعيم سلطة الإمبراطور الروماني، و إنقاص سلطة مجلس الشيوخ ، والحد من نفوذه فيما يتعلق بسياسة الدولة، فكانت لحنكته دورا في إيجاد العاصمة الجديدة .

انتقلت الأهمية الاقتصادي نحو شرق الإمبراطورية ،و لعبت عدة عوامل دورا أساسيا في هذا الانتقال، خاصةبعدما غدت القسطنطينية مع مطلع القرن الثالث الميلادي ملتقى الطرق التجارية، التي تربط البحر الأسود بالبحر الإيجي، وعليه أصبح الثقل الاقتصادى للامبراطورية الرومانية متركزا في شرقه (35) فقسطنطين أيقن أن سياسته ، لا يمكن أن تنجح في روما باعتبارها "مركز الوثنية " (36)،وعليه كان لنقل العاصمة الى بيزنطة نتائج ايجابية على المسيحية خاصة (37).

هكذا، تطلعت "روما" بعد نقل العاصمة الى " بيزنطة " الى رئيسها الديني الأعلى وطمعت في أن يأخذ مكان عاهلها الامبراطور ، وأخذت الكنيسة منذ ذلك العهد تستحوذ على سلطان واسع ،فعكف الناس على مزاولة العبادات التي ترضيها ، اتقاء للعذاب (38).

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

إن الإصلاحات السياسية التي مارسها قسطنطين على الإمبراطورية الرومانية ،والتي تمثلت في تغيير العاصمة التاريخية خاصة من روما القديمة نحو روما الجديدة(القسطنطينية)من العوامل الأساسية التي ضخت الحياة من جديد في الامبراطورية بعد أزمة القرن الثالث الميلادي، فالامبراطور قسطنطين واصل عملية الإصلاحات، التي بدأها الامبراطور ديوقليسيانوس ،حيث أحدثت اصلاحاته تغيرات جدرية على الأوضاع الحضارية إذ أصبحت الإمبراطورية منذ ذلك تتسم بسمات شرقية مسيحية.

6.نتائج إصلاحات قسطمطين:

ظلت المسيحية طوال ثلاثة قرون تعاني من عدم شرعية وجودها بفعل عدم اعتراف بعض الأباطرة الرومان بها ، لذا فإن هذا الوضع خلف حالة من التفكك والانشقاق أبرزها:

6 .1 الانشقاق الاريوسي :

بعد أن اشتد عود المسيحية ، وازدادت قوتها (39)،كان العمل من أجل توسيعها وتوطيد أركانها أملا في إنقاذ وحدتها ، لكن خلافا شديدا حول نظرية الإيمان المسيحي ظهرت ،فعلاقة الأب بالابن وروح القدس من بين الأسباب التي أدت الى انقسام المسيحين ،الأمر الذي أثار البغضاء طيلة قرنين من الزمن، وتعود بداية هذه الأزمة الى عام 317م ، عندما فجر " أريوس"" أحد أساقفة كنيسة الاسكندرية الخلاف، حينما أنكر الايمان بالثالوث ، بذريعة أن الابن و الروح القدس من خلق الأب ، فكيف يوجدان مع وجوده ويتساويان معه ، وهو ما عرف بالنظرية الأريوسية (Ariusism)، ورد عليه أثناسيوس شماس الكنيسة الاسكندرية المتمسك بالثالوث كرب واحد ، وأن للمسيح طبيعة واحدة وهي ربانية ، ولذا عرفوا بالمونوفيسيين (Monophysite) بمعنى الموحدون بطبيعة المسيح، في حين دعي أريوس بأن للمسيح طبيعتين ، بشرية وهى الناسوت، وأخرى ربانية وهي اللاهوت (40) .

كان الانشقاق الديني، صدمة خيبت آمال الامبراطور قسطنطين ،الذي كان يسعى الى وحدة الكنيسة من أجل وحدة الامبراطورية ، وتخفيفا للاضطرابات كان قد أمر بعقد "مجمع نيقيا" عام 325م ، الذى جمع زعماء الكنائس الشرقية بقيادة الروم الأرثوذوكسين و الغربية بزعامة الرومان الكاثوليك ، وكذا كنيسة الإسكندرية التي استقلت عنهما بشخصيتها و أرائها والتي تحولت فيما بعد الى الكنيسة القبطية، والتي توالى عليها ثلاثة رجال فيما بين 375و 451م (ثيوفيل،كيراليس، وديسقروس)(41) .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

عمل الامبراطور قسطنطين على رأب الخلافات اللاهوتية، لاسيما تلك التي كانت تدور بين أريوس وخصومه ، فسعى الى رأب الصدع بين الطرفين ، لكن ذلك لم يثن عزمه ، إذ بادر انطلاقا من عام 325م الى دعوة المجمع المسكوني الأول في مدينة " نيقيا " في أسيا الصغرى ، الذي أدان فيه المجتمعون الأريوسية بصفتها هرطقة ، واعتمدوا رمز الايمان المسيحي الذى رسخ عقيدة الثالوث ، وأعلنت فيه رسميا وحدة الكنيسة الأرثوذيكسية العالمية الجامعة ، وعلى الرغم من أن الجدال في مختلف مسائل التعاليم المسيحية قد استمر لزمن طويل ، غير أن الكنيسة المتحالفة مع الأباطرة المسيحين ، نجحت في السيطرة على الوضع العام في الامبراطورية (42) .

هكذا حكم الامبراطور قسطنطينوس على الاريوسية ، ونظمت بعدها مجموعة تعاليم الدين المسحي فيما عرف بالعقيدة النيقية ، وتطور مركز الكنيسة، فأصبحت مركزا جديدا للفكر، وقام بتنظيم رجال الدين المسيحي حسب هرمية الامبراطورية وأصبحوا قوة فاعلة في المجتمع ، ورغم محاولة الحكومة الوثنية أن تستأصل شأفة الكنيسة المسيحية الا أنها أخفقت في ذلك ونجح قسطنطين في ربط الحكومة الوثنية مع الكنيسة المسيحية بوثاق الزمالة، وأصبحت بذلك القسطنطنية رمز الاتحاد بين التقاليد الرومانية والمسيحية (43).

وما لا ينكره جاحد أن الامبراطور قسطنطين استمر في مساندة الكنيسة فقام ببناء أكبر كنيسة وهي "أيا صوفيا" أو ما يعرف بكنيسة الحكمة الربانية، بالرغم من أن الامبراطور قسطنطين لم يصبح مسيحيا رسميا ، الا وهو على فراش الموت عام 337م حين طلب تعميده (44) . فمنح قسطنطين مقابل ذلك التأييد، امتيازات عدة استفاد منها رجال الكنيسة ، كاعتراف الدولة بيوم الاحد كعطلة رسمية للمسيحين واعترافها بشرعية العتق، الذي يتم في الكنائس على يد رجال الدين كما منح هؤلاء الاخرين حق ممارسة السلطة القضائية على يد هيئة الكهنة (الأكليروس) و تم اعفاء رجال الدين من أعمال السخرة (munera)، التي كانت مفروضة على المواطنين والسماح لهم بعضوية المجالس البلدية، ويسقط عليهم الواجبات القسرية (munera) ، التي فرضت على أعضاء المجلس البلدي (الكوريال) وللعلم أن هؤلاء الأعضاء في هدا المجلس كانوا وثنين بنسبة كبيرة فأخذوا يتسابقون الى اعتناق المسيحية بهدف الاستفادة من تلك الامتيازات المخولة لهم (45) .

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

هكذا، كانت كل القرارات الصادرة في مجملها تهدف الى تنظيم الكنيسة العالمية ، وتحديد علاقتها بالدولة ،فمجمع " نيقيا" مثلا يمثل بداية احلال المسيحية تدريجيا محل الوثنية التي كانت الديانة الاولى والمطلقة والرسمية للإمبراطورية الرومانية القديمة قبل أن ترسخ المسيحية التي أصبحت مع الوقت الديانة الرسمية في سائر الامبراطورية ، وينادي بها جل سكانها (46).فالاضطهاد الديني الذي تعرض له المسيحيون لم يأت بالنتائج المرجوة منه إن لم تكن له نتائج عكسية ، والدين الجديد انتصر بفضل الشهداء الذين ضحوا بأنفسهم من ناحية وكذا انشغال الأباطرة من ناحية أخرى بصد غارات البرابرة على أملاكهم ، وعليه عاشت المسيحية على كره من خصومها ، لأنها تنثني على حق لا يقوى على سحقه قمع.

الخاتمة :

من خلال تناولنا لموضوع التحولات السياسية والدينية للإمبراطورية الرومانية في عهد الامبراطور قسطنطين الأول(306 .337م) ، توصلنا لمجموعة نتائج منها :

.كان المنهاج الذى اتخذه الامبراطور قسطنطين، من بين العوامل التي ساعدت على انتشار المسيحية ، وتقوى بذلك الجانب الاجتماعي للكنيسة بعد أن تعزز سياسيا ،لكن الحظ الواسع الأفاق الذى حققته الكنيسة تحت جناح الامبراطور قسطنطسن قد أفقدتها قيمتها المعنوية لدى الطبقة المحرومة .

. تنازل الكنيسة تدريجيا عن مبادئها النضالية ، الأمر الذي جعل الطبقة المحرومة والمقهورة ، تناهض الكنيسة ، التي تخلت في نظرهم عن المبادئ والتنديد بمواقفها السياسية التي تخدم الطبقة الثرية ، وهذا سبب في كثرة الخلافات بين المسيحين ذاتهم.

.كان لأعمال الامبراطور قسطنطين أثار هامة على تغير وجه التاريخ وتحقيق الانتقال من العالم القديم الى عالم العصور الوسطى ، فاعترافه بالمسيحية ونقله لعاصمة الامبراطورية الرومانية من روما الى بيزنطة (Roma Nova) التي شَيدها على ضفاف البسفور محل مدينة بيزنطة التي وسعها وحصنها في الشرق ، والى سميت باسمه "القسطنطنية" (Constantinople) دليل على ذلك.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الهوامش:

1)خياط ،(ى)، الدولة البيزنطية من النشوء حتى عهد جستنيان، الجزائر(284- 565)، الجزائر، 2010، ص84.

2)عمران (م .س.)، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط .1، بيروت،2006، ص.43.

Besnier, M(1937). Histoire romaine,L'empire romain, de(3 l'avènement des severes au concile de Nicée,T.4, Paris,p.ER ,1 p.347.

4) الحويري (محمود محمد) ، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ، الطبعة الثالثة ،دار المعارف، القاهرة .1995،ص 62 ؛عمران،(م .س.)، المرجع السابق ، ص43 .44.

5)العبادي (مصطفى) ، الإمبراطورية الرومانية ، دار النهضة العربية ،بيروت .1981 ، ص265.

Averil(Cameron),The Later Roman Empire 284-(6 430,A.D.,Fontana Press,(67 (London.1993),pp43-44

7)جيبون (ادوارد) ،اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ،ترجمة محمد أبو درة ، مراجعة وتقديم أحمد نجيب هاشم ،الطبعة 2،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1997 ،ج1 ،ص327 .

8) جيبون (ادوارد) ، المرجع السابق ،ص327-328.

Albert De Broglit(M.) ,L'église et L'empire Romain Au Ive(9 Siècle ,T.5,(paris .1866) ,I, p.337-338.

10)عبد الحميد،(ر.) ، الدولة والكنيسة،ج1، قسطنطين، القاهرة. 1975،ص65؛عمران (م س.)، المرجع السابق، ص41.

11)عمران(م.س.) ، مقالات في تاريخ مصر في العصر البيزنطي، الإسكندرية.،2006،ص 30 -31.

12)الحويرى المرجع السابق، 49.

13) حارش (م .الهادي)، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، الجزائر .1992،ص 222 .

14) الناصري ،(س. أ. ع.) ، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري،ط4 .، القاهرة. 1991،ص431 .

15) الحويري(م.م.)، المرجع السابق ، ص 32 ؛شنيتي،(م.ب.)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في الغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في القرن الرابع الميلادي الجزائر . 1984 ،ص432 .

16).عبد الحميد(ر.)، المرجع السابق، ص103 – 104

17)عمران(م س.) ،المرجع السايق ، ص16؛ القيصري،(ي.)، بدون تاريخ، حياة قسطنطين (Vita Constantini)، ترجمة القمص داود، م.، 0232 ، ط. 1،القاهرة .1975، ص444.

Lançon,(B.), Moreau, Constantin un Auguste chrétien(18 Paris.2012,p.48-49.

19)عبد الحميد (ر.)، المرجع السابق ، ص36، 38.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

20)عاشور(س.ع.ف.) ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت. 2009، ص38 .

21) إلياذ (مرسيا) ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ترجمة عبد الهادي عباس ،ج2، ص448. 449

Marqiode(J.), Marqiode(J.), Mommsen(Th .) ;Mauuel des(22 Antiquités (28 romaines,ESQUISSE De l'Histoire De La Religion Romaine,T.12 , paris-1888 ,p.142.

23) إلياذ (مرسيا) ، المرجع السابق،ج2، ص448. 449

Marqiode(J.),Op.Cit,143(24

Delorme(J.) ,Chronologie des Civilisation ,(paris,1969),p.119 .(25

26) اندري (ايمار) جانين(بوايه) ، تاريخ الحضارات العام ، ، روما وإمبراطوريتها ترجمة فريد داغر ج2، منشورات عويدات(بيروت .1968)، ص564.

Vasiliev(V.),The Byzantine Empire, Madison, 1952,I,p.23(27

Constantin , (192 - Bernard (R.), Francois (B), L'Empire romain de Pertinax à(28 337 après J.c) ,aspects politiques ,administratifs et religieux, 2ed ,(paris 1997), p137-138.

Marqiode(J.), Mommsen(Th .) ; Op.Cit,p.139-140 (29

Bernard (Remy), Francois (Bertrandy), Op.Cit,p.138(30

32)العبادى(م.)، المرجع السابق ،ص250 . 251

33) يوسف(ج.ن) ، تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية،2005.ص46.

Bloch, G., 1922, L'Empire romain évolution et décadence,(34 Paris, p .199.)

Lançon,(B.),u,Op.Cit,pp49-50.(35

36)الطويل (توفيق)، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ،القاهرة. 1991 ،ص 44 .

37)خياط (ى.)،المرجع السابق ، ص128 -129.

38) ادوارد (جيبون)،المرجع السابق ،ج1، ص505؛ محمد (مرسى الشيخ)، المرجع السابق، ص14.

39) محمود (سعيد عمران)،ادارة الامبراطورية البيزنطية ،بيروت ،1980، ص69 .

40) وهيب(أبي فاضل) ، المرجع السابق ،ص117.

41) دودلي(رونالد) ، المرجع السابق ، ص352.

Bury(J.B.),History of the Later Roman Empire From the (42 Death of Theodosius I tothe Death of Justinian,(New York,14958),pp.216-217

43)الباز(العريني)، المرجع السابق،ص57،217-216.Bury(J.B.) ,Op.Cit,pp

44)عاشور(س.ع.ف) ، المرجع السابق، ص45.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

Bayaet(J) et Thouvenot(R.),Histoire romane ,publié sous la(45 direction de CH.GUIGNBERT ,(paris 1925),p.362-364 .

46) سعيد عمران، المرجع السابق ، ص67 .

المراجـــع:

بالاجنبية:

1)Averil(C.),The Later Roman Empire 284-430,A.D.,Fontana Press, (London.1993
2)Albert De Broglit(M.) ,L'église et L'empire Romain Au Ive Siècle ,T.5,(paris 1866)
3)Bayaet(J.) et Thouvenot(R.),Histoire romane ,publié sous la direction de CH.GUIGNBERT ,paris 1925.
Bernard (R.), Francois (B), L'Empire romain de Pertinax à Constantin
4)(192 -337 après J.c) ,aspects politiques ,administratifs et religieux, 2ed ,(paris 1997.
5)Besnier (M.) Histoire romaine,L'empire romain, de l'avènement des severes au concile de Nicée,T.4, Paris,1937 .
6)Bloch(G.), L'Empire romain évolution et décadence, Paris,1922
7)Bury (J.B),History of the Later Roman Empire From the (50 Death of Theodosius I tothe Death of Justinian,(New York,14958),pp.216-217
8)Delorme (J.) ,Chronologie des Civilisation ,paris,1969.
9)Lançon, B., Moreau, Constantin un Auguste chrétien, Paris.2012.
10)Vasiliev(V.),The Byzantine Empire, Madison, 1952,I,p.23

بالعربية

1)أبي فاضل(وهيب)، الموسوعة الكبرى لتاريخ الشعوب وحضارتها ، الحضارة الرومانية البيزنطية . المسيحية وانتشاره ،ج 7، مركز الشرق الاوسط الثقافي، ط 1،ب . ت .

2) جيبون (ادوارد) ،اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ،ترجمة محمد أبو درة ، مراجعة وتقديم أحمد نجيب هاشم، الطبعة 2،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1997 ،ج1 .

3)اسكندر (صفي) ، المنارة التاريخية في مصر الوثنية ، القاهرة ب . ت.

إلياذ (مرسيا) ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ترجمة عبد الهادي عباس ،ج2،ب . ت.

4)أندري (ايمار) جانين(بوايه) ، تاريخ الحضارات العام ، ، روما وإمبراطورتها ترجمة فريد داغر ج2، منشورات عويدات(بيروت .1968).

5) الحويري (محمود محمد) ، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ، الطبعة الثالثة ،دار المعارف، القاهرة .1995.

6)خياط(ى.)، الدولة البيزنطية من النشوء حتى عهد جستنيان، الجزائر(284- 565)، الجزائر، 2010.

7)دورالد (دودلي)، حضارة روما ، ترجمة جميل بواقيم وفريد الذهبي ، مراجعة محمد صقر خفاجة ،القاهرة ،د.ت.

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

8)شنيتي (محمد البشير):التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في الغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في القرن الرابع الميلادي الجزائر . 1984.

9)الطويل (توفيق)، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام ،القاهرة . 1991.

10)عاشور(س.ع.ف.) ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت.2009.

11)العبادي (مصطفى)،الإمبراطورية الرومانية ، دار النهضة العربية ،بيروت .1981 .

12) العريني (الباز) ،الدولة البيزنطية ، القاهرة . 1960.

13)عمران ، م .س.، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط .1، بيروت،2006.

14)القيصري،(ي.)، بدون تاريخ، حياة قسطنطين Vita Constantini) (، ترجمة القمص داود، م.، 0232 ، ط. 1،القاهرة .1975

15)مرسيا (إلياد) ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ، ترجمة عبد الهادي عباس ،ج3(دمشق .1986. 1987).

16)محمد (مرسى الشيخ)، تاريخ مصر البيزنطية (الاسكندرية . 1999)، ص14.

17) محمود (سعيد عمران)،ادارة الامبراطورية البيزنطية ،بيروت ،1980، ص69 .

18)الناصري (س. أ. ع.) ، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري،ط4 .، القاهرة. 1991.

19)يوسف(ج.ن.) ، تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية،2005.